اتجاهات قراءة التراث في الفكر العربي الحديث

الباحث/ علي عبدالسلام محمد علي

ملخص البحث:

يتلخص البحث في توطئة حول مفهوم كلمة التراث في اللغة والاصطلاح، ومدلول المركب (التراث الإسلامي)، وحول مضمون وأبعاد هذا التراث، وما الذي تشمله وتحتويه كلمة (تراث إسلامي)؟ ، وهل الوحي (قرآن وسنة نبوية) يعد من التراث الإسلامي أم لا؟ ثم يأتي الحديث عن الموقف من التراث في الفكر العربي الحديث انطلاقا من فكرة الأصالة والمعاصرة، ثم الحديث عن بعض اتجاهات قراءة التراث في الفكر العربي الحديث والتي منها: القراءة العلمانية التجريدية والتي تجرد التراث من محتواه الديني، وكالقراءة العقلانية النقدية والتي تضع التراث على ميزان العقل، فما وافق العقل قُبل وأُخذ وما لم يوافق العقل يتم تركه، وكالقراءة التاريخية الواقعية والتي تقرأ التراث من خلال وقائع وأحداث تاريخية لا علاقة لها بوحي السماء، ثم تأتي القراءة المادية الجدلية والتي تقرأ التراث وفق نظرية التفسير المادي للتاريخ، لصاحبها المفكر الألماني كارل ماركس. ثم ينتهي البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج.

كلمات مفتاحية للبحث: التراث، اتجاه، الوحي، القرآن، السنة

Research Summary:

The Research is summarized in ditermining to the concept of the word Heritage in Language and terminology, and the meaning of the compound (Islamic Heritage), and about the content and dimensions of this heritage, and what is included in the word (Islamic heritage)? Is revelation (the Qur'an and Sunnah) considered part of the Islamic heritage or not? Then comes the talk about the position of Heritage in Modern Arab Thought based on the idea of authenticity and modernity, then talk about some trends of reading heritage in modern Arab thought, including: abstract secular reading, which strips heritage of its religious content, and rational critical reading, which puts Heritage on the balance of the mind What agrees with the mind is accepted and taken, and what does not agree with the mind is left. Like the Realistic historical reading, which reads the heritage Through historical facts and events that have nothing to do with the revelation of heaven, then comes the dialectical materialist reading, which reads the heritage according to the theory of the material interpretation of History, to its owner, the German thinker Karl Marx. Then the research ends with a conclusion that includes the most important results.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على من بعثه ربه تعالى رحمة للعالمين، سيدنا ومعلمنا ومرشدنا وهادينا إلى الصراط المستقيم، محمد خير خلق الله أجمعين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق، وبالنور المبين، وصلاة وسلاما على أصحابه الأخيار المطيبين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

لعل من أبرز ما يميز الأمم هو تراثها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها التي تمتد عبر أزمنة ماضية، حيث أنها، في الغالب، على أساس هذا التراث وهذه العادات والتقاليد تحتكم، وبها تفتخر، وعلى أساسها تنهض وتتقدم، وتحدد الآمال وترسم الخطط، فما من أمة ولا شعب لا ماضي له إلا ولا حاضر له، وما من شعب لا حاضر له إلا ولا مستقبل له، فبالتراث تتميز الشعوب وتتقدم.

ويزداد الأمر تميزا بين الأمم، من خلال تراثها، إذا كان هذا التراث له قداسة دينية وروحية، تختلف درجتها وحدتها بحسب مضمون هذه الديانة وتشريعاتها، وتوافقها مع روح العصر ومتطلباته، حيث أنه ليس كل الأمم والشعوب تعتز بتاريخ ثقافتها وديانتها بنفس الدرجة، ولكن بدرجات متفاوتة بين الحدة والمرونة، وبين الأخذ والترك.

وتحتاج، كل أمة من الأمم، بين كل فترة زمنية وأخرى، إلى تحديد مضمون ثقافتها وتراثها، عبر الأزمنة الماضية، وبيان الوافد عليه من الأصيل، وتنقية التراث عما يشوبه من الكذب والتدليس والتزوير والتحريف..كي تتسلمه الأجيال القادمه جيلا بعد جيل دون ريبة وشك.

ويمكن القول إن التراث الإسلامي بمضامينه وأبعاده قد حظي بالجانب الأوفر من العناية والاهتمام عبر أزمنته المختلفة، ويزداد الأمر عناية واهتماما في العصر الحديث، وذلك لما له من عمق كبير في القداسة لدى كثير من بلدان العالم وبما يعدل ربع سكانه تقريبا، فقد حظي هذا التراث الإسلامي باهتمام واسع من جهة مفكرين وكتاب وأدباء ومستشرقين وعلماء وباحثين..

وفي العصر الراهن، ومن خلال عرض أطروحات فكرية نهضوية من جهة مفكرين وكتاب وباحثين، ومن خلال عرض رؤى ومشروعات نهضوية مقترحة لنهضة المجتمع العربي الإسلامي، ومن خلال فكرة الأصالة والحداثة، وفكرة مواكبة العصر

الحديث، انبرى كثير من الكتاب والباحثين في إعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة غير كلاسيكية، لتقييم التراث وإعادة تقديمه للساحة الفكرية بصورة أخرى غير معهودة، كلٌّ بحسب أغراضه وأهدافه.

وتبعا لذلك شهدت الساحة العربية الفكرية عدة اتجاهات لقراءة التراث في العصر الحديث كالاتجاه الكلاسيكي التقليدي، والاتجاه العقلاني، والاتجاه النقدي، والاتجاه الانتقائي، والاتجاه المادي..وغيرها من اتجاهات قراءة التراث.. كل فريق بحسب مشاربه واتجاهاته.

المطلب الأول: التراث الإسلامي.. مضامينه وأبعاده

ما التراث؟ وما المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه اللفظة؟ وما مفهومه؟ وما مضامينه؟ وما الفرق بين كلمتي (التراث) و(الميراث)؟ وهل القرآن والسنة يعدان من التراث أم لا؟... هذه الأسئلة هي ما سيحاول الباحث الإجابة عليها من خلال هذا المطلب الأول من البحث في السطور التالية:

أولا: مصطلح "التراث" لغة واصطلاحا:

أ – معنى "التراث" لغة:

جاء في لسان العرب تحت مادة (ورث) الوارث صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يَرِثُ الخلائقَ ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل يرث الأَرض ومَن عليها وهو خير الوارثين أَي يبقى بعد فناء الكل ويَفْنى مَن سواه فيرجع ما كان مِلْكَ العِباد إِليه وحده لا شريك له...والوِرْثُ والوَرْثُ والإِرْثُ والوِرَاثُ والإِرَاثُ والتُّرَاثُ واحد...والمِيراثُ أَصله مِوْراثٌ انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها والتُّراثُ أَصل التاء فيه واو."[1]

يتضح هنا أن هذه اللفظة تأتي مرادفة لألفاظ أُخر، مثل: ميراث، وإرث، وإراث، وورْث، وكلها ألفاظ تدل على ما يتركه المورِّث للوارث، أو ما خلَّفه الميت للحي، أو ما تركه السابق للاحق، بدون التمييز بين ما هو مادي، وما هو معنوي.

ومما هو جدير بالذكر أن لفظة "التراث" قد وردت في القرآن "مرة واحدة"، بمعنى (الميراث) في قوله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا"[2]وقد ذكر ابن كثير، عند تفسيره لهذه الآية: ".. وتأكلون التراث يعني الميراث أكلا لما أي من أي جهة حصل لهم ذلك من حلال أو حرام"[3]

كذلك وردت لفظة (تراث) في السنة بمعنى (الميراث)، كما جاء في حديث الدعاء: "وَلَكَ رَبِّ تُرَاثِي"[4] أي: مالي الذي أخلفه[5] وقد بان من ذلك أن كلمة (التراث) قد وردت في القرآن والسنة، مطابقة لمعناها عند أهل اللغة، أي بمعنى الميراث.

---

(1) ابن منظور (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، ج ٢، ص(١٩٩ – ٢٠٠)، باب الثاء، (مادة ورث).

(2) الفجر: ١٩

(3)انظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، ج٨، ص ٣٨٨

(4) الترمذي: سنن الترمذي (٣٥٢٠) كتاب الدعوات، باب ٨٨

(5)محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (الصنعاني) (ت:١١٨٢ه): التنوير شرح الجامع الصغير، ت: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ه، ٢٠١١م، ج٣، ص ١٤٣.

ب – معنى "التراث" في الاصطلاح:

أشار صاحب كتاب (مصطلحات الفكر الحديث)، تحت مصطلح (التراث Tradition): إلى أنَّ "التراث" الذي تتملكه، وتتناقله أجيال الأمة يدور في معنيين: "تراث السلوك والعادات والقيم غير المكتوبة؛ وتراث الإبداعات الفكرية والفنية والأدبية. وأشكالها وأساليبها المكتوبة، أو المسجلة والمرئية المحفوظة، أما عن المعنى الأول للتراث (غير المكتوب)... فهو يتخلل السلوك والطقوس، والشعائر، والكلام المنطوق، والرموز الاجتماعية المستعملة والشائعة في الحياة، وإنَّ دراسته تحتاج إلى إحصاء ميداني، ومقارنة تاريخية لتحديد مصادره وأعماره، ودلالاته النفسية والعقائدية والفكرية التي عادة ما تكون متحولة ومتخفية ومركبة، وأنه تراث غير طبقي غالبا، وإن كانت له صيغة محلية في إطار الأمة أو الثقافة الواحدة، كما أن تحولاته تتم بشكل تراكمي.. كـــ(طقوس الموت، أو الميلاد، أو الختان، أو الزواج في مصر مثلا، والتي تكون عربية إسلامية قبطية، فرعونية بالتتالي نفسه، وقد تتخللها آثار بيزنطية، أو إفريقية..) أما التراث المكتوب فشأنه مختلف؛ إنه: أولا إبداعات فكرية وأدبية.. إلخ في الكتب، أو المخطوطات المنشورة، أو المشاهد والنصوص المحفورة على الجدران.. إلخ، وهو: ثانيا، أساليب وأشكال أو قوالب (مثل قالب الدراما في الثقافة اليونانية، أو العمود الشعري في الثقافة العربية، أو المنظور الجانبي الأمامي للرسوم الفرعونية.. إلخ)"[1]

وبذلك يمكن القول أن لفظة "التراث" في الاصطلاح تُطلق على كل ما هو معنوي مما تركه السلف للخلف من علوم وثقافات وفنون وطقوس وتقاليد وعادات كالتراث الشعبي مثلا.

ثانيا: هل الوحي (قرآنا وسنة) من التراث؟:

أشارت الكتابات إلى أن كلمة (التراث) مشتملة على الوحي (قرآنا وسنة)، كقول أحد الباحثين: "التراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية بل إنه يشتمل على الوحي الإلهي (القرآن والسنة) الذي ورثناه عن أسلافنا"[2]

([1]) سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ج١، ص (١٧٦ – ١٧٧) بتصرف.

([2])د.أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، سلسلة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان، ١٤٠٥ه، الطبعة الأولى، ص ٢٧

وهناك من يباين بين الوحي(القرآن والسنة) والتراث، فيقول: "النص الديني في الاستعمالات الإسلامية والحداثية أيضا له ثلاثة مستويات: النص القرآني، والنص النبوي، والنص التراثي. ومنه التمييز بين الوحي والتراث؛ لأن الحداثيين يصطلحون على الوحي مصطلح التراث مثل الجابري وأركون ونصر حامد أبو زيد. "[1]

والذي يميل إليه الباحث هو الرأي القائل بأن الوحي (قرآنا وسنة) يندرج تحت مسمى التراث الإسلامي، وذلك للأسباب التالية:

١ – أنه من خلال التعريف الذي سبق طرحه حول مفهوم التراث وقد تبين من خلاله أن لفظة (تراث) تعني في أبسط معانيها هو ما تركه السلف للخلف من علوم وفنون وثقافات... وغير ذلك، والوحي (قرآن وسنة) هو علم تركه لنا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، وتناقلته[2] الأجيال جيل بعد جيل

٢ –أنَّه ورد في القرآن والسنة استخدام مادة (ورث) ببعض مشتقاتها للدلالة على توريث الكتاب (القرآن أو غيره من الكتب السماوية)، وكذلك في السنة جاءت لفظة "ميراث"، والتي تأتي مرادفة لكلمة "تراث" عند كثير من أهل اللغة، للدلالة على علم السنَّة، وحديث النبي، صلى الله عليه وسلم، ففي القرآن الكريم: يقول تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"[3]، وفي السنَّة استخدم الصحابي أبو هريرة، رضي الله عنه، لفظة "ميراث" متضمنة الدلالة على الكتاب والسنة، فقد جاء في الحديث: "مر أبو هريرة رضي الله عنه بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ، ما أعجزكم! ، قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ ، قال: ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ، وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ، قالوا: وأين هو؟ ، قال: في المسجد ، فخرجوا سراعا إلى المسجد ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم: ما لكم؟ ، قالوا: يا أبا هريرة ، قد أتينا المسجد فدخلنا ، فلم نر فيه شيئا يقسم ، قال: أما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلى ، رأينا قوما يصلون ، وقوما يقرءون القرآن ، وقوما يتذاكرون

([1])مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ٦٠

([2]) ويقول صاحب كتاب (المعجم الفلسفي) تحت مصطلح "تراث"، كما تمت الإشارة سابقا،: "... هو ما يتناقل بالقول أو بالكتابة أو بالعمل في جماعة.."(انظر: مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، الطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، الطبعة الخامسة، ص ١٧٩)

([3]) فاطر: ٣٢

الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم"[1]

ففي هذا الخبر الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه قد أطلق لفظة ميراث على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى القرآن، وعلى فقه الحلال والحرام، فأبي هريرة لم يتورع عن إطلاق لفظة ميراثعلى الوحي (قرآنا وسنة)، وكما مرَّ سلفا في ثنايا البحث أنَّ كثيرا من معاجم اللغة جعلت الكلمتين مترادفتين (تراث – وميراث)[2]، فهما لفظتان لمدلول واحد.

ومن ثَمَّ فإنه للأسباب السالف ذكرها يخلص الباحث إلى أنه ليس هناك غضاضة في إطلاق لفظة "تراث" على الوحي (قرآن وسنة)، فهو علم تركه السلف للخلف، ولكن مع الأخذ في الاعتبار أن التراث الإسلامي من حيث قداسة مادته يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: تراث مقدَّس (قرآن وسنة)

والقسم الثاني: تراث غير مقدَّس (نتاج بشري إسلامي)

أما بالنسبة للقسم الأول: (التراث المقدَّس) فهو الوحي (قرآن وسنة) وهو علم إلهي سماوي أُوحي به إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث أُوحي إليه بالقرآن معنى ولفظا، وأُوحيت إليه السُنَّة بالمعنى دون اللفظ (في أرجح الأقوال)

أما القسم الثاني: (التراث غير المقدس) فهو النتاج البشري الإسلامي من علوم ومعارف وغير ذلك، كعلوم التفسير، والحديث، والفقه، والسيرة، والأخلاق.... وغيرها،والتي أفرزها الوجود الإسلامي في حقبه المختلفة، فهذا (تراث غير مقدَّس) يُوضع تحت الفحص والنقد، فما وافق منه الحق (التراث المقدَّس) (القرآن والسنَّة) قُبِل وأُخذ به، وما لم يوافق فإنه يُرَدُّ، ويُضرَب به عرض الحائط.

المطلب الثاني: اتجاهات قراءة التراث في الفكر العربي الحديث

لعل من أبرز الإشكالات المثارة على الساحة الفكرية في العصر الحديث هي إشكالية التراث العربي الإسلامي، من حيث أهميته، ودوره في إحداث النهضة الحضارية الأصيلة للمجتمع العربي الإسلامي قديما، وكذلك دوره في النهضة المنشودة

---

(1) الطبراني: المعجم الأوسط (١٤٢٩)، صهيب عبد الجبار: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، كتاب فضائل الأعمال، باب فضل العلم والتعلم، وأورده الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (٨٣) كتاب العلم، فصل: (الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه، وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين)

(2) أما بالنسبة لما أشار إليه الكاتب أنور الجندي من حيث أن يجعل كلمة "الميراث" إشارة إلى الوحي (قرآن وسنة)، بينما لفظة "التراث" تشير إلى الفكر الإسلامي الذي يقبل الخطأ والصواب، كما جاء ذكره آنفا، فهذا في الجانب الاصطلاحي فقط عند بعض المفكرين والكتاب، أما من حيث اللغة فهما في الحقيقة لفظتان لمعنى واحد، كما جاء في جُل المعاجم اللغوية.

في العالم العربي الإسلامي في الوقت الراهن، وموقف المفكرين منه بين القبول والرفض، والاتجاهات المتعددة والمتباينة لقراءته، وتحليل محتواه، وذكر مضامينه.

وانطلاقا من أهمية دراسة التراث الإسلامي لدى علماء الفكر الإسلامي والأدباء والفلاسفة ومن ينشدون سبل النهضة[١] والتقدم للمجتمع العربي المسلم... وغيرهم، لذا فقد حظي هذا التراث باهتمام كبير، وعناية فائقة من قِبل الباحثين والمفكرين العرب المحدثين، حيث "يمثل التراث الإسلامي الركيزة الأساسية التي ترتكز عليها أية حركة نهضوية في ديار الإسلام، بحيث لا يستطيع مشروع حضاري أن يرسخ وجوده في البناء النفسي والفكري والاجتماعي للواقع الإسلامي المعاصر إلا إذا استند إلى التراث الإسلامي"[٢].

الموقف من التراث في الفكر العربي الحديث:

يمكن القول أنه انطلاقا من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يشعر بها المفكر العربي إزاء ثقافته وتراثه "بسبب استلابية الرؤية والمنهج في التعامل مع الآخر، وفقدان الثقة بالذات الحضارية الإسلامية وقدرتها على الإيناع من جديد في خضم الكيانات الحضارية"[٣]، ومع وجود طرف آخر من المفكرين والكتَّاب قد اعتزَّ بثقافته وتاريخه وعضَّ عليهما بالنواجذ، فإنه يمكن القول انطلاقا من هذا وذاك قد تبلور في الفكر العربي الحديث موقفين رئيسين إزاء التراث العربي والإسلامي، موقف يرفض التراث بكل مافيه، وموقف يقبل التراث بكل مافيه[٤]، يقول الدكتور سليمان الخطيب في كتابه (التغريب والمأزق الحضاري): "لقد وجد الفكر العربي الحديث نفسه – يواجه – ضمن واقع عالمي استعماري جديد – محورين يبلور من خلالهما توجهه الحضاري:

---

(١) حيث يمكن القول أن قضايا الفكر العربي الحديث قد ظل معظمها يدور حول ما يمكن تسميته بـــ (إشكالية النهضة)، حيث "يذهب كثير من مؤرخي الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، والمهتمين بقضاياه إلى أن هذا الفكر ظل يبحث في إشكالية واحدة عند جميع التيارات والمدارس" وهي: إشكالية النهضة. أثارها جيل الإصلاح في العروة الوثقى في عبارات من مثل: «انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك» (انظر: شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ص ١٠، نقلا عن: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده: العروة الوثقى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م،ص ٧٠) . وصاغها شكيب أرسلان في سؤاله الشهير: «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟» وهو السؤال الذي ما يزال حاضرًا إلى اليوم في صيغ مختلفة ... ولكن هناك ثمة إشكالات أخرى، غير النهضة، كمسألة الألوهية ودورها في تصور العالم والإنسان، وإشكالية المنهاج والقراءة". (انظر: شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مرجع سابق، ص (١٠-١١).

(٢)جمال سلطان: الغارة على التراث الإسلامي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه، ١٩٩٠م، ص ١٠٨.

(٣) سليمان الخطيب: الدين والحضارة في فكر الطيطاوي، ص ١٤

(٤) مما تنبغي الإشارة إليه أنَّ هذين الموقفين إزاء التراث العربي والإسلامي، هما موقفان رئيسان، ولا ينفي هذا وجود مواقف أخرى تجاه التراث من حيث القبول والرفض، كما ذكر أحد الباحثين: "إنَّ المتأمل في التراث الفكري المعاصر يجد العديد من المشاريع الفكرية التي اعتنت بالتجديد، ومنها ما يرى ضرورة القطيعة مع التراث، ويجعل ذلك إحدى المقدمات الضرورية لعملية النهوض بالأمة. ومنها ما يرى صعوبة تجاوز التراث أو استحالته، لقوة حضوره في العقل الجمعي؛ وبالتالي رأى ضرورة التعامل معه، وتوظيفه في خدمة المشروع، أو تنحيته وتحييده بطريقة لا تصدم الجمهور" (انظر: خالد القرني: القراءة التأويلية لدى نصر حامد أبو زيد، الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ه، ص ١) فبملاحظة هذه المواقف الثلاثة من التراث والتي ذكرها الكاتب يرى الباحث أنها ترجع أساسا إلى الموقفين الرئيسين وهما موقفا القبول والرفض للتراث، حيث أن الموقف الثالث، والذي يرى (صعوبة تجاوز التراث وبالتالي رأى ضرورة التعامل معه وتوظيفه..) يُعد موقف رفض، وإن تظاهر بالقبول.

المحور الأول: هو محور الأخذ والاقتباس والذوبان في الآخر، وهو الغرب وحضارته

والمحور الثاني: هو العودة إلى التمسك بأصالته العقائدية والحضارية التي صاغت ضمير الأمة المسلمة في تاريخها الحافل من خلال الأصول الإسلامية قرآنا وسنة"[١]

المحور الأول: محور الذوبان في الآخر، والقطيعة مع التراث: (موقف التيار التغريبي):

وبالنسبة لما يتعلق بالمحور الأول والذي ينشد سبل النهضة للمجتمع العربي من خلال الأخذ والذوبان في الآخر (الغرب وحضارته) هذا ما يُطلق عليه التيار التغريبي، وهو كما يذكر أحد الباحثين، "تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية"[٢]

وهذا التيار التغريبي، بجميع اتجاهاته الفكرية، سواء كان "علمانيا أو ليبراليا، أو ماركسيا أو قوميا أو اشتراكيا،... إلى غير ذلك من الاتجاهات التي حاولت أن تقتفي النموذج الغربي في الفكر من أجل النهضة، وباختصار شديد، فإنَّ هذا التيار، بمختلف اتجاهاته الفكرية، قد نحا في منهجه نحو منطلقين:

أولا: القطيعة الكاملة مع الموروث الثقافي الإسلامي فكرًا وعقيدة وتاريخا.

ثانيا: التبني الكامل لدلالات وقيم الموروث الثقافي الفكري الغربي"[٣].

وموقف القطيعة هذا الذي تبناه الاتجاه التغريبي إزاء التراث يقع كذلك ضمن معتقدات ودعوات (اتجاه الحداثة) في الفكر العربي الحديث، حيث "أصبحت النهضة ثورة على التراث، وأصبح إقصاء التراث عن التاريخ، وإبعاده عن مناحي النشاط الاجتماعية والفردية، هو أساس التقدم وشرطه معًا، وهذا الإقصاء هو الذي أخذ اسم الحداثة التي حلت محل تعبير النهضة"[٤]

---

(١) سليمان الخطيب: التغريب والمأزق الحضاري، ص ٤٣.

(٢)مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١، ص ١٣٣

(٣)سليمان الخطيب: التغريب والمأزق الحضاري، ص ٢٧.

(٤)برهان غليون: اغتيال العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ص ١٧٣.

بل إنه لم يقتصر الأمر عند إقصاء التراث وفقط، بل وإلى إقصاء الدين كذلك، باعتباره تراثا!! أو كونه يحمل نفس الصفة، صفة القِدم (في فهم التيار التغريبي)، فلم يكن "الانزلاق من تقديس العلم إلى رفض التراث باعتباره مرادفاً للقدم والتأخر، وتوحيده مع الدين، أمراً صعباً أو غير متوقع. بل يمكن القول إن نظرية النهضة قد انتقلت تدريجياً وعفوياً من فكرة تأكيد العلم كمصدر للحضارة، إلى فكرة أن التراث والدين والتقاليد هي مصدر الانحطاط"[١] وهذا مما جعل مفكرا مثل سلامة موسى يقول: "أريد أن تكون ثقافتنا أوربية...أما الثقافة الشرقية فيجب أن نعرفها لكي نتجنبها، لما نرى من آثارها في الشرق: آثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة(!!)... هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرة. فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب(!!)... لأنني أعتقد أن لا رجاء لنا بالنجاح في العالم.. إلا إذا تملصنا مما اكتسبناه من العادات الشرقية"[٢]

وهكذا يرى سلامة موسى، وإلى مثل هذا يذهب أقرانه من أصحاب الاتجاه التغريبي، إذ يرون أن من مساوئ وعيوب الثقافة العربية الإسلامية أنها تدعو إلى التوكل على الله!! يقول الدكتور عمارة، تعقيبا على كلام سلامة السابق: "وهو، أي سلامة، لا يريد الثقافة الإسلامية المؤمنة، التي تعلم الإنسان (التوكل على الله)!!.. بل يريد ثقافة علمانية أوربية تلتزم بفلسفة (التنوير – الغربي) الوضعية، التي عزلت الدين والله والسماء عن الفكر والثقافة وكل شئون العمران الإنساني.."[٣]

المحور الثاني: التمسك بالتراث والأصالة الحضارية (موقف تيار الفكر الإسلامي):

ويرى هذا الموقف ضرورة العودة إلى التراث والتمسك بالأصالة العقائدية والحضارية التي صاغت ضمير الأمة المسلمة في تاريخها الحافل من خلال الأصول الإسلامية قرآنا وسنة،يقول الدكتور الخطيب: "على النقيض من تيار التغريب ومن إطاره من خلال المرجعية الغربية، تبلور تيار فكري، كان يجد في الإسلام وفي جزء كبير من الموروث الثقافي الفكري، مادة خصبة لبناء وعي مجتمعي مستقل عن منظومة المعارف الغربية وللتصدي لاختراقاتها الخارجية، والتي لم تفتأ تضرب الإسلام والنموذج الحضاري العربي الإسلامي، وترى فيه سببا للتأخر والتخلف، لتحدث بذلك ثغرات في خصوصية الأمة وميراثها الحضاري، بقصد إحداث الخلل ثم الانقضاض على هذه البيئة

(١) برهان غليون: اغتيال العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ص ١٧١

(٢) سلامة موسى: المؤلفات الكاملة، المجلد الأول، دار ومطابع المستقبل، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٥٢٦، ٥٢٧

(٣) محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير، ص ١١٦.

الحضارية، وذلك من أجل خلق البديل الغربي للنهضة، ولم يسلِّم تيار الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، بهزيمة الإسلام والعرب أمام أوربا، ولم يصادق على النتائج التي أحدثتها حملتها سياسيا وفكريا بل أكد على التواصل بين هذه الذات وماضيها الحضاري وهويتها العقائدية، كمحور للفعالية نحو المستقبل، ويصبح من الضروري العودة إليه في مرحلة التفكك للتصدي للمسألة المركزية المتجسدة في الهيمنة الغربية، وخاصة على المستوى الفكري"[١]

حيث إن "الالتجاء إلى التراث، والاحتماء بالتاريخ والاعتزاز بالآباء والأجداد ودورهم التاريخي يعتبر رد فعل طبيعي لحماية الحالة النفسية للأمة من الانكسار، واتخاذ التراث درعا وحصنا يدفع غوائل التيار الكاسح القادم من بلاد غريبة عنا في ثقافتها وحضارتها وموروثاتها، وكذلك حماية الشخصية الحضارية التاريخية من الذوبان في الحضارة الوافدة"[٢]

ويمكن القول أنه من خلال هذا الموقف الثاني، موقف التيار الإسلامي من التراث قد انبثق موقف قد أُطلق عليه الموقف (التوفيقي)[٣]وهذا الاتجاه التوفيقي، والذي يرى الباحث أنه يدخل ضمن موقف التيار الإسلامي من التراث (وهو موقف القبول التام للتراث العربي والإسلامي) قد ظهر لبيان الموقف من الحضارة والثقافة الغربيتين، فإذا كان التيار التغريبي قد تبنى موقف الرفض التام للتراث والقطيعة معه مع القبول التام للوافد الغربي وحضارته وثقافته،والتيار الإسلامي قد تبنى موقف القبول التام للتراث ودراسته والاعتزاز به مع الرفض التام للوافد الغربي وحضارته وثقافته، فإن هذا التيار التوفيقي (وهو يتبع التيار الإسلامي كذلك) قد تبنى أيضا القبول التام للتراث ودراسته والاعتزاز به، مع أخذ المفيد والنافع من حضارة الغرب وثقافته،فكما يقول الدكتور الخطيب: "فارقت الحملة الفرنسية مصر، ولم تفارقها فكرة التقدم العصري الذي سبق إليه القوم بعلوم ابتكروها أو بعلوم اقتبسوها منا، وآن لنا أن نردها إلينا – كما يقول رفاعة – وبدأت طلائع المثقفين المصريين تنتشر في ربوع البلاد وتباشر دورها ومسئوليتها إزاء المجتمع المصري ومشكلاته، تسيطر على نظراتها الجديدة للحضارة والاجتماع منهجية الاستلاب والإحساس بالدونية أمام الغرب الغازي، ويشدها إلى تبني

(١) سليمان الخطيب: التغريب والمأزق الحضاري، ص ١١٣.

(٢) د.أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، سلسلة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان، ١٤٠٥ه، الطبعة الأولى، ص ١٠ (بتصرف)

(٣) لم يرد الباحث أن يجعل هذا الموقف موقفا ثالثا من التراث، حيث أن هذا الموقف التوفيقي متفرع عن الموقف الثاني ومنطو تحته، إذ أن هذا الاتجاه التوفيقي هو تيار إسلامي كذلك، فكلاهما يتبنيان موقف القبول الكامل للتراث والاعتزاز به.

المفاهيم الغربية ومحاولة ربطها بالخطاب الإسلامي، صدمة الحداثة التي قدمت مع الفرنسيين، حيث سيطر الانبهار والاندهاش على عقول وأفئدة المثقفين، وبدأت معالم نزعة توفيقية بين الإسلام والغرب تظهر في الأفق الفكري والثقافي للعالم العربي الإسلامي"[١]

ومن المحاولات المهمة في هذا الاتجاه محاولة الشيخ مرتضي المطهري (١٣٣٨ - ١٣٩٩/ ١٩١٩ - ١٩٧٩ م) في كتابه الإسلام ومتطلبات العصر،ومحاولة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢ه/١٩٠٣- ١٩٨١م)، في كتابه الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، والشيخ محمد جواد مغنية)(١٣٢٢ - ١٤٠٠ه/ ١٩٠٤ - ١٩٧٩م) في كتابه الإسلام بنظرة عصرية، والسيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣ - ١٤٠٠ه/ ١٩٣٤ - ١٩٨٠م)، في كتابه الإسلام يقود الحياة للحياة[٢]، والأستاذ أنور الجندي في كتابه قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، والذي يقول فيه: "إن الفكر العربي يرفض النظريات الوافدة في مجال النفس والاجتماع والثقافة. ولكنه يقبلها في مجال العلوم والحضارة. ذلك لأسباب عميقة بعيدة المدى . أهمها: قيام المجتمعات العربية والإسلامية أساسا على الترابط بين الدين والمجتمع، وقيام مناهجها علي أساس أخلاقي ديني، وكون الإسلام ديناً ومنهج حياة، وكون نظرية المعرفة الإسلامية ذات جناحين مادي وروحي، عقلي ووجداني، بينا تصدر هذه النظريات من دائرة الغرب في مواجهة تحديات مجتمعاتها."[٣]

ومن ثّمَّ يمكن القول أنه قد تعددت مناهج بحث التراث وأطر دراسته واتجاهات قراءته لدى المفكرين والفلاسفة ومنشدي سبل النهضة في الوطن العربي، كلٌّ حسْب موقفه من التراث وحسْب توجهه ومذهبه وقناعاته الفكرية، حيث تنوعت هذه الاتجاهات لقراءة التراث في الفكر العربي الحديث ما بين اتجاه سلفي أصولي، واتجاه تغريبي، وثالث توافقي أو تلفيقي، ورابع ليبرالي، وخامس مادي تاريخي ...

ويمكن القول، كما ذكر أحد الباحثين "إن للبحث العلمي في تاريخ الأفكار عامة، وفي زواياه المنهجية خاصة، من الصعوبات المتعلقة بتعدد المسالك النظرية ووعورة المداخل الاصطلاحية والمفهومية، ما يجعله معرضا لنقائص شتى، فالرجاء من العلي

---

(١) سليمان الخطيب: الدين والحضارة في فكر الطهطاوي، المركز الإسلامي لدراسات الحضارة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م، ص ١٤.

(٢)انظر: زكي الميلاد: الفكر الإسلامي – قراءات ومراجعات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ١١٢.

(٣) أنور الجندي: قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ه، ١٩٨١م، ص (١٤ – ١٥).

القدير ألا تتعدى منزلة اللمم. والله المستعان في السير إلى الغاية، وله الحمد في البدء والنهاية[١]

وسيلقي الباحث الضوء على بعض هذه الاتجاهات في السطور التالية:

أولا: اتجاه القراءة العلمانية (التجريدية):

وهذه القراءة للتراث تسعى لتجريد الإسلام من محتواه ومن الروح الإسلامية التي فيه، واعتباره تراثا إنسانيا بحتا لا علاقة له بالدين الإسلامي، وهذه القراءة قد وجدت عند التيار التغريبي إبَّان الحقبة الاستعمارية حتى منتصف القرن العشرين، وهي قراءة مجتزأة لبعض النصوص التراثية.

وإذا كان هدف هذه القراءة التجريدية هي تفريغ الإسلام من محتواه السياسي والاجتماعي، أو بعبارة أخرى تجريد التراث أو الحضارة العربية من الروح الإسلامية، فإن هذا الأمر بعبارة تلخيصية يسمى (علمنة الشريعة)[٢]، بمعنى تفريغها من محتواها السياسي والدنيوي، يقول صاحب كتاب (أسس التقدم عند مفكري الإسلام): "إن القضية التغريبية التي كان لها أصداء سياسية واسعة وتركت بصماتها القوية على الحركة الفكرية الإسلامية في العالم العربي فقد تمثلت في مسألة العلاقة بين الدين والدولة، أو بين الشريعة والقانون. إن هذا الوجه للحركة التغريبية الذي يتخطى في خطورته ونتائجه السياسية والاجتماعية كل الحدود وينطوي على قلب شامل للصورة التاريخية للإسلام وللمجتمع يتمثل في هذه النزعة التي أراد أصحابها أن يجعلوا من الإسلام مجرد (دين) فحسب، بالمعنى الغربي الحديث لهذه الكلمة أي باعتباره منظومة روحية من العقائد، التي تدور حول العقائد المجردة، حول الله والإنسان والوجود الأول والآخر. وقد اتخذت الحركة طريقين تقودان إلى النهاية نفسها:

أما الطريق الأول فتمثل في الدعوة إلى التوحيد بين (الشريعة الإسلامية) و(القانون الوضعي)، أو بتعبير أدق، استبدال القانون الوضعي بالشريعة وبناء القضاء والمحاكم على أساس من القوانين المدنية والجنائية الغربية، وبصورة خاصة الفرنسية التي أدخلت إلى مصر بالذات في وقت مبكر منذ عهد الخديوي إسماعيل.

---

(١)انظر: شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ص ٨)

(٢) انظر: سليمان الخطيب: التغريب والمأزق الحضاري، ص ٥٢.

أما الطريق الثاني – وهو الأخطر – فقد تمثل في الدعوة إلى تجريد الإسلام من مضمونه السياسي والاجتماعي واستبعاده، بالتالي، من حقل التدبير السياسي والاجتماعي للدولة وللمجتمع، تماما كما حدث للمسيحية في الغرب"[١]

يقول علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ملخصا قضيته، ضمن عنوان (لا خلافة في الدين)!!: "إن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة ومن عز وقوة، وإن الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية ولا القضاء ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز الدولة. وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة. كما أن تدبير الجيوش الإسلامية وعمارة المدن والثغور ونظام الدواوين لا شأن للدين بها، وإنما يرجع فيها إلى العقل والتجريب أو إلى قواعد الحروب أو هندسة المباني وآراء العارفين"[٢]

وهكذا كانت قراءة على عبد الرازق قراءة تأويلية تجريدية لنصوص الوحي والتراث سعيا لتفريغ الإسلام وتراثه من مضامينه السياسية والاجتماعية، وكان ذلك هو ديدن التغريب إبان حقبة الاستعمار حتى النصف الثاني من القرن العشرين، "أما في الحقبة المعاصرة (في النصف الثاني من القرن العشرين)، فقد أخذ الاتجاه التغريبي منهجا أكثر حيطة في التعامل مع الموروث الثقافي الإسلامي، ومع القيم العقائدية والحضارية للشخصية المسلمة، فلجأ هؤلاء إلى إقامة ما يشبه المشروعات الفكرية في فهم وتحليل التراث الفكري والحضاري للإسلام، وذلك من خلال المرجعية الغربية في مناهج العلوم الإنسانية المختلفة، وإن تظاهر هذا الاتجاه المعاصر – بمختلف فصائله – أنه يسعى إلى تأسيس مشروع فكري مغاير لمشروعات الغرب الفكرية، ولكنه لم يستطع أن يثبت ذلك بوضوح، لن منطق المناهج التي استخدمها هذا الاتجاه في تحليل التراث الفكري والثقافي للإسلام، يغلب عليه مرجعية المنهج الغربي الوافد في حقل العلوم الإنسانية"[٣]

---

(١) فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، ص ٣٤٥.

(٢) علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام)، دار الكتاب المصري، القاهرة، تقديم: عمار علي حسن، طبعة: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١١م، ص ١٣٧.

(٣) سليمان الخطيب: التغريب والمأزق الحضاري، ص ٧٤.

ثانيا: اتجاه القراءة التاريخية للتراث:

يمكن بلورة هذا الاتجاه في الوقوف على مضمون النزعة التاريخية[١]؛ إذ أنها "نزعة يرى أصحابها نسبية القوانين الاجتماعية والحكم بوضعيتها وتعرف بأنها مذهب يقرر نسبية القوانين الاجتماعية واتصافها بالزمكانية، وأن القوانين من نتاج العقل الجمعي، وتسحب ذلك على الأديان أيضا. فالتاريخية إذا اتجاه يحكم بعدم شمولية القوانين المختلفة وحتى الأحكام الشرعية، فترتب على ذلك القول بتاريخية النص الديني؛ أي أنه نسبي فيما تضمن من أحكام، ونسبي فيما أرسى من تصورات ومسائل عقدية، ونسبي فيما حث عليه من آداب وأخلاق، وبالتالي فهو صالح لبيئته الاجتماعية لا غير. ونتج عن ذلك النداء بالعلمانية في مجال السياسة والحكم كأهم رؤية قريبة تشكلت عن مقدمات سبقت، فحدث شرخ كبير في الفكر الإسلامي، ساعد الخطاب الحداثي وبعض القراءات التراثية في اتساعه إلى حد بعيد، إلى درجة الانفصال عن النص الديني، ورفضه كمرجعية أساسية لمختلف انشغالات الحياة المسلمة"[٢]

وبالنسبة عن ممثلي هذا الاتجاه في الفكر العربي الحديث يقول الكاتب: "والتمعن في هذه النتائج يؤكد لنا إفرازات توظيف بعض المناهج، أي أن هذا النص قرئ من خارج، بمناهج مستوردة منقولة وليس بمناهج أصيلة، ومقتضياتها لا تتناسب مع مقتضيات الممارسة التراثية ولا مع الاجتهاد الديني. وهذا التيار الذي يشتغل بهذه المناهج ويملك هذه الرؤية يشكله جماعة من المفكرين برزوا كمفكري العصر مثل: محمد أركون، نصر حامد أبو زيد، محمد عابد الجابري، حسن حنفي... الذين تبين كتاباتهم أنهم قرأوا النص الديني من خارجه، وبأدوات ومناهج غريبة عنه كمناهج: غاستون باشلار، ميشال فوكو، حاك دريدا، وغيرهم من مفكري الغرب وفلاسفته الذين تميزوا بأبحاثهم في هذا الميدان خاصة بعد تأسيس المدرسة البنيوية التي كان لها منهجها الخاص في دراسة النصوص الدينية وغير الدينية، وكيف أنها تمارس التأويل وتنظر

---

(١) هناك ثمة وجود مصطلح آخر يسمى (التاريخانية)، وللتفريق بينه وبين مصطلح (التاريخية) يقول أحد الباحثين: " "التاريخية" تتميز عن مصطلح حداثي آخر وهو "التاريخانية"، فالتاريخانية (Historicite) مصطلح متأخر في الظهور والاستعمال مقارنة بمصطلح التاريخية (Historicisme) فالتاريخانية مصطلح يرجع أول استعمال له إلى سنة (١٩٣٧)، وتدل على عقيدة معينة تقضي بتطور الحقيقة مع التاريخ. وهناك من يعتبرها موقفا أخلاقيا أكثر مما هي فلسفة"، فالتاريخية" (Historicism): الرأي القائل أن الحتمية التاريخية أحداث التاريخ تحكمها قوانين الطبيعة، أما "التاريخانية" فهي ارتباط شديد بالماضي أو توقير له، ومنه كلمة تاريخاني (Historicist) التي هي وصف للشخص الذي يقول بالحتمية التاريخية". من خلال هذا يكون الفرق بين الكلمتين يتجلى في كون التاريخية مذهب أو نزعة، أما التاريخانية فهي صفة، وهذا ما أشار إليه معجم روبير الذي نجد فيه أن كلمة "تاريخية" تعني المذهب الذي يدرس الأحداث ضمن شروطها التاريخية، أما "التاريخانية" فهو سمة ما هو تاريخي" ولهذا نجد أحيانا الكلمتان توظفان توظيفا واحدًا كما أن التعريف بهما يكاد يكون واحدًا أيضا" (انظر: (١) مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ٢٤)

(٢) مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ١٢

إليه. وبعد تأسيس فلسفة العلوم أيضا التي كانت المناهج الابستيمولوجية أهم مسالكها؛ لأنها في زعم أصحابها السبيل الأمثل لتجاوز العقل الميتافيزيقي واللاهوتي ولإرساء قواعد التفكير الوضعي"[١]

وعليه "فإن القول بتاريخية النص الديني مظهر من مظاهر التحديات التي يجابهها العقل المسلم، وذلك من خلال محاولة الخطاب الحداثي[٢] بيان أن النص الديني لا يعدو أن يكون وضعا بشريا يناسب مرحلة الطفولة العقلية للإنسان، أو أنه نتاج ثقافي أفرزته أوضاع اجتماعية وثقافية معينة غير الأوضاع الراهنة، مبررين ذلك بأن العقل البشري وصل إلى مستوى جد متقدم من الوضعية التي تجاوز بها هذا العقل الصبغة اللاهوتية التي هي صبغة العقل الديني الذي مرجعيته النص.وهذه رؤية مادية بعيدة عن روح الإسلام والخطاب الإسلامي، كما أنها بينة الخطورة لما فيها من دعوة إلى الانفصال عن النص وتصادم مع الدين. ويتجلى القول بالتاريخية أيضا كتحد في محاولات تأويل النص التي تسعى إلى ربط النص بسبب نزوله واعتبار السبب علة لا مناسبة، ولما كانت الأحكام تدور مع العلل وجودا وعدما، فإذا غابت العلة غابت وظيفة النص لغياب علتها تلك، ومن ثم فأحكام القرآن الكريم المختلفة ليست مطلقة، وقد كان قول بعضهم: أحكام التشريع في القرآن ليست مطلقة، ولم تكن مجرد تشريع مطلق فكل آية تتعلق بحادثة بذاتها، فهي مخصصة بسبب التنزيل، وليست مطلقة و كل آيات القرآن نزلت علي الأسباب – أي لأسباب تقتضيها – سواء تضمنت حكما شرعيا أم قاعدة أصولية، أم نظما أخلاقية، بها أحكاما مؤقتة ومحلية تنطبق في وقت محدد وفي مكان بعينه."[٣]

إذ أنّ الإسلام يجمع بين روح الأصالة وروح المعاصرة معا فهو صالح لكل زمان ومكان، وكذلك مصلح لكل فساد في أي زمان ومكان، ويكفي أنه دين الله تعالى الذي أرسله للبشرية جميعا، بل وللإنس والجن معا، وجعل رسوله محمدا الذي جاء به خاتم الأنبياء والرسل، وأمره جل شأنه بالبلاغ، فقال تعالى: "يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ"[٤] ولمَّا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بشرا يعتريه ما يعتري البشر من الموت، وقد أشار القرآن إلى هذا، وبما أن الرسول

---

(١) مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ١٢، ١٣.

(٢) الحداثة، كما جاء في معجم لاروس الفرنسي: حداثة (modernism) "تعني البحث عما هو حديث"، وهي"مذهب يدعو إلى التجديد الاجتماعي والثورة على الكنيسة، من خلال النقد التاريخي المعاصر" (انظر: Larousse,Laipraire(Lepetit Larousse,p٦٣٢,١٩٩٠

(٣) مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ١٣

(٤) المائدة: ٦٧

صلى الله عليه وسلم قد مات وانتقل إلى الرفيق الأعلى، لذا فقد أمر الله تعالى أتباعه المؤمنين من بعده أن يدعوا بدعوته البشرية جمعاء، فقال تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[1]

فأمام هذه الآيات البينات وأمام هذه النصوص القرآنية، كيف يقول عاقل بعد ذلك أن الوحي والتشريع الإسلامي أمران مرتبطان بالزمكانية، أي بالزمان والمكان، وليس لهما امتداد على سائر العصور، وأن الرسالة المحمدية رسالة منقضية ومنتهية لارتباطها بالزمان والمكان؟!!

ومن ثَمَّ فإن الاتجاه التاريخي لقراءة التراث لا يهدف إلى قراءة التراث ودراسته للأخذ منه أو لتفسيره تحت أي نمط أيديولوجي معين"إنما لإثبات أن هذا التراث إنما هو تاريخي الوجود، ومن العبث والجمود أن يتم استرجاعه في مثل هذا الزمان، إذ أن ذلك من عوامل التأخر والتخلف!!

ثالثا: اتجاه القراءة النقدية الانتقائية (العقلانية):

يقول محمد عابد الجابري: "ونكرر القول بإعادة كتابة تاريخنا الثقافي بصورة عقلانية[2] وبروح نقدية، لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في تراثنا نكتسب عقلانية أصيلة وجديدة، عقلانية ستكون هي التربة الصالحة، الغنية الخصبة، التي تستطيع حمل مبادىء وأسس العلم المعاصر. وبطبيعة الحال فالتعامل النقدي العقلاني مع تراثنا يتوقف على مدى ما نوظفه بنجاح من المفاهيم والمناهج العلمية المعاصرة. ولذلك كان من الضروري لنا، سواء من أجل حل مشاكل ماضينا في وعينا أو من أجل بناء مستقبلنا الثقافي ، العمل على نشر الثقافة العلمية والفلسفية وتكريس أساليب البحث العلمي ومناهجه، نظرياً وممارسة، في ساحتنا الثقافية الراهنة. إنه الشرط الضروري لتدشين عصر تدوين جديد يؤسس المستقبل بما يستجيب لمتطلباته ويفي بحاجاته"[3]

وفي موضع آخر يقول الجابري: "ما هو مطروح علينا ليس التخطيط لمستقبلنا الثقافي وحده بل التخطيط كذلك لماضينا الثقافي بصورة تجعله معاصرا لنفسه بإعادة

---

(1) يوسف: ١٠٨

(2) العقلانية: العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه (انظر: مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص ٧٩٦)

(3) د.محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ص ٤٤

الزمنية والتاريخية إليه، ومعاصراً لنا بإضفاء المعقولية عليه، بإعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه من جهة وبينه وبين اهتماماتنا المعاصرة والمستقبلية من جهة أخرى"[١]

وهنا يلحظ الباحث في الفقرتين السابقتين للجابري أنه يطرح استخدام قراءتين معا، وهما القراءة التاريخية الزمكانية، من جهة كون التراث تاريخي زماني (كما يرى الجابري) ومن جهة أخرى يدعو لاستخدام القراءة العقلانية النقدية إزاء التراث، من جهة كون التراث نتاج بشري بحت لا شأن للوحي فيه كما يعتقد الجابري.

وبالنسبة لدعوته الأولى لقراءة التراث وهي القراءة التاريخية فقد تم الرد عليها سابقا، أما دعوته للقراءة العقلانية النقدية فهذا قول مردود عليه إن كان النقد موجها للوحي (قرآنا وسنة) فهذا مرفوض ولا سبيل إليه، أما إذا كان النقد موجها للتراث بمعنى النتاج الإنساني فهذا مقبول بشرط أن يكون نقدا بنَّاء لا هدَّاما.

ومما يمكن قوله أنَّ هؤلاء التغريبيين الماركسيين وأمثالهم ليس لديهم غيرة على التراث أو الهوية العربية "فمن المؤامرات التي تسوقها حركة التغريب والشعوبية والغزو الثقافي (فتنة الانتقاء من التراث) التي يثيرها زكي نجيب محمود ونفر من التغريبيين من الذي يحكم علي التراث، وما هي أدواته في القياس؟... لقد علمتهم الدعوة المسرفة إلى العصر وإلى أنهم أساتذة أنفسهم إلى إطلاق الرأى في جرأة الذي لم يبلغ الرشد أو يعرف قدر الكنوز التي بين يديه فهو يبددها في سفه الوارث الجاهل. إن التراث الإسلامي لا يتجزأ،... ، إن إيجابيات التراث وسلبياته ضرورة لنا لمراجعة ماضينا ورسم مستقبلنا، إنهم لا يملكون الإيمان والحافز والغيرة على تاريخ هذه الأمة وميراثها الرباني، حيث لا يقاس تاريخ الإسلام ولا تراثه على تاريخ الغرب وتراثه للفارق البعيد والعميق، نحن نؤمن بأن التراث ليس شيئاً مقدساً، التراث كالتاريخ، فيه الإيجابيات والسلبيات، ولكن العقيدة (الميراث) هى الشىء الوحيد الذى هو فوق النقد لأنه الحقيقة الخالدة الباقية"[٢]

ويمكن القول أنه في الوقت الذي يدعو فيه الإسلام إلى استخدام العقل في النظر والتأمل، إذ أنه قد "تحدث القرآن الكريم عن العقل والعقلانية في آيات كثيرة مكية ومدنية، جاءت صريحة وواضحة، لا تحتاج إلى تأويل أو برهان، ووردت بطريقة تلفت الانتباه بشدة، وتثير الدهشة بأعلى درجاتها، وتبعث على التأمل والنظر في خطاب العقل

(١)د.محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ص ٤٧

(٢) أنور الجندي: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)، ص ١٩.

والعقلانية، وتستدعي الحاجة لاستكشاف حكمة هذا الخطاب ومقاصده، وضرورة التعرف على حقله الدلالي"[١]

وهذا يعني أن الاتجاه العقلاني النقدي لقراءة التراث ليس مرفوضا على إطلاقه، بل هو مطلوب أحيانا لتمييز الحق من الصواب والصالح من الفاسد، وهذا ما ينبغي أن يكون في حق التراث كنتاج بشري، أما بالنسبة للوحي فلا سبيل إلى ذلك، حيث أنهما وحي منزل من الله تعالى وقد أجمعت الأمة على قداستهما وعدم قبولهما لمبدأ الخطأ والصواب، فكما يؤثر عن الإمام مالك أنه قال وهو في الروضة الشريفة: "كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر" وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

رابعا: اتجاه القراءة المادية الجدلية:

وهو اتجاه يُطلق عليه كذلك "المنهج المادي التاريخي" الذي يُعزى إلى ماركس وأنجلز، تطبيقا لما أسماه "فلسفة المادية الجدلية" في تاريخ المجتمعات والشعوب.ويُعبَّر عن هذا الاتجاه بـــ"الصورة المادية الجدلية، وقد بدأت استشراقية ماركسية شرقية، ثم حمل لواءها مفكرون عديدون أمثال: صادق جلال العظم و ياسين الحافظ، ثم أحمد عباس صالح وطيب تزيني وحسين مروة وغيرهم."[٢]

وهذا المنهج "الجدلي" أو المنهج المادي التاريخي لقراءة التراث عند ماركس وغيره يقوم على آليات، منها: (قانون التناقض الداخلي) والذي يقضي أن لكل شيء في الطبيعة والمجتمع له نقيضه!!، وقد أسقط كل من ماركس وأنجلز هذا التناقض على تاريخ المجتمعات والشعوب، فأسماه (الصراع الطبقي)، يقول أنجلز: "إن التاريخ الماضي كله، باستثناء الحالة البدائية، لم يكن سوى تاريخ النضال بين الطبقات، وإن هذه الطبقات الاجتماعية المتناقضة كانت فى كل لحظة معينة، نتاجات علاقات الإنتاج والتبادل، أي: نتاجات العلاقات الاقتصادية في عصرها"[٣]

ومن آليات هذا المنهج، (أي المنهج المادي الجدلي) في قراءة التراث، كذلك: "التحليل الاجتماعي الاقتصادي؛ وذلك انطلاقا من مبدأ (الحتمية الاقتصادية) الذي عليه مدار المادية التاريخية، وقد صاغه أنجلز قائلا: (إن الفهم المادي للتاريخ ينطلق من الموضوعة" القائلة: إنَّ إنتاج المنتجات أولا، ثم تبادلها، يشكلان أساس كل نظام

---

(١) زكي الميلاد: الإسلام والعقلانية، ضد الجمود وضد الاستلاب، أطياف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م، ص ٧١

(٢) شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ص ٣٠.

(٣) إنجلز: الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، (د.ت) ص ٩٦

اجتماعي، وأنه في كل مجتمع معني يدخل حلبة التاريخ يتحدد توزيع المنتوجات، ومعه انقسام المجتمع إلى طبقات أو إلى فئات، بما يجري إنتاجه، وبكيفية إنتاجه، وبكيفية تبادل هذه المنتوجات، ولذا إذا شئنا أن نجد الأسباب التي تحدد التغيرات الاجتماعية والانقلابات السياسية، وجب علينا أن نبحث عنها، لا في رؤوس الناس، ولا في معرفتهم المتنامية عن الحقيقة والعدالة الخالدتين، بل في تحولات أسلوب الإنتاج والتبادل، أي: أنه يجب أن نبحث عن هذه الأسباب لا في الفلسفة، بل في اقتصاد العهد المعني"[١]

وهكذا انطلاقا من هذه الآلية (التحليل الاقتصادي للتاريخ) يرى دعاة هذا المنهج المادي التاريخي أن الإسلام (دينا، وفكرا، وتاريخ) إنما هو نتاج حتمية اقتصادية!! وتسير أحداثه ووقائعه العوامل المادية الاقتصادية. وقد "ظهرت في السبعينات والثمانينات المشروعات اليسارية لقراءة التراث، وهي مشروعات جاء أصحابها من خلفيات ماركسية، وفكروا في التراث في حقبة جاذبية الماركسية، ومن أشهر هؤلاء خمسة: طيب تيزيني (١٩٣٤م)، وحسين مروة (١٩٨٧-١٩٠٨م)،وأدونيس(و ١٩٣٠م)، و حسن حنفي (و ١٩٤٥م)، و محمد عابد الجابري (٢٠١٠-١٩٣٩م). "[٢]

وانطلاقا من قاعدة (قانون التناقض الداخلي)"لجأ دعاة المنهج التاريخي الجدلي إلى تفسير قضايا الدين والتراث من خلال منهج ثنائي القيم: يقسم التاريخ والفكر الإسلاميين إلى اتجاهين متناقضين تناقضا ذا طابع طبقي، ولكن هذا التعارض يأخذ صيغا مختلفة،فأحمد عباس صالح يرتكز علي مقياس التقسيم السياسي، فيتحدث عن اتجاه اليسار واتجاه اليمين في الإسلام واضعا في الأول النبي، صلى الله عليه وسلم، ومجموعة من الصحابة الأوائل كأبي ذر الغفاري وبعض الحركات السياسية والعقدية كالخوارج والمعتزلة ... بينما يضع في الثاني الملأ المكي القرشي، ومعاوية وغيرهم، وأما طيب تزيني، فيعرض تقسيما فلسفيا، يتحدث عن اتجاه مثالي غيبي رجعي، و اتجاه مادي عقلاني تقدمي، يمثل الأول: الأشاعرة والفقهاء والغزالي، ويمثل الثاني المعتزلة وابن رشد، ولكن تزيني يرجع هذا التقسيم الفلسفي إلي التفسير الاجتماعي الاقتصادي الذي يكمن في التناقض الطبقي الإقطاعي داخل المجتمع العربي، وإن كان تزيني يعرض لتفسيرات تحول التناقض الطبقي إلى تناقض قومي بين الشعوبية والسلفية، فيصير الصراع (أو التناقض) بين إقطاع (عربي) وإقطاع «خارجي» يمثله البويهيون،

---

(١)إنجلز: الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، (د.ت) ص ٩٨.

(٢) إبراهيم عمر السكران: التأويل الحداثي للتراث..التقنيات والاستمدادات، دار الحضارة، الرياض، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م، الطبعة الأولى، ص ٥٦.

فالأتراك، فالصليبيون!، بل ويمتد إلى المرحلة الراهنة". وهذا التردد بين البعد القومي والبعد الاجتماعي للتناقض الجدلي هو ما يفسر مظاهر ارتباك طيب تزيني في طريقة تصنيف التراث الفكري في العالم الإسلامي القديم"[١]

يقول الكاتب محمد قطب: "وأول ما يتبادر إلى الذهن من أخطاء هذا المذهب هو إيمانه بالجبرية الاقتصادية الكاملة، التي لا اختيار للإنسان أمامها، ولا فكاك له من تأثيرها عليه، (فوسائل الإنتاج تكيف المجتمع، وليس شعور الإنسان هو الذي يعين وجوده، ولكن وجوده هو الذي يعين شعوره) هكذا يقول ماركس، فيؤكد أن المشاعر تجيء دائما لاحقة للعوامل الاقتصادية متأثرة بها، ولكنها لا تكون أبدا سابقة عليها أو مؤثرة فيها. وما نريد أن ننكر أهمية الاقتصاد، ولا سيطرته على المشاعر البشرية. فنحن نؤمن بأهميته البالغة كمقوم من مقومات الحياة الأساسية، ولكنا نريد فقط أن ننفي جبريته، وأنه العامل الوحيد المسيطر على دنيا البشر، وأقرب ما يرد به على الزعم القائل بأن وسائل الإنتاج هي التي تكيف المجتمع، أن وسائل الإنتاج في أمريكا الرأسمالية، هي نفسها وسائل الإنتاج في روسيا الشيوعية، ومع ذلك فإن استخدامها في روسيا لم يفرض عليها أن تكون رأسمالية! بل إنها لم تبدأ في استخدام هذه الوسائل على أوسع نطاق إلا بعد أن تحولت إلى الشيوعية! فليس أسلوب الإنتاج إذن قوة جبرية تشل حركة الإنسان، وتخضعه لسلطانها القاهر"[٢]

تعقيب:

ولعل جُلَّ هذه القراءات للتراث الإسلامي تُعد "من أخطر محاولات التغريب للفصل بين التراث المتقدم للأمم والثقافة المعاصرة بحيل وأساليب خادعة وكلمات براقة كالتطور وروح العصر والتجديد وكلها ترمي إلى إخضاع التراث وإعطاء العصر حق القبول من الرفض بحيث يسقط دوره الحقيقى الذى يجعله مناراً هادياً وضوءاً كاشفاً للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصيل وذاتيتها الحقيقية إلي شكلتها منذ قرون

([١])شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ص ٤٣ ، " إن المنهج الثنائي القيمة يرجع إلى تلك العقلانية الأرسطية الصورية التي لا تعرف احتمالات أخرى غير الصدق المطلق أو الكذب المطلق للقضايا والأحكام، وقد أدى التطبيق التاريخي الجدلي لهذا المنهج إلى النظر إلى الفكر والتاريخ في الإسلام على أنه تاريخ ثنائية طرفها الأول يحمل صفات النقاء المطلق، بينما يحمل طرفها الثاني صفات الشر المطلق، فأما النقاء المطلق فمقياسه: المادية وأولوية العقل على النقل، والخروج على دولة الخلافة. وأما الشر المطلق فيتمثل في: مثالية الفكر، وتقديم النقل على العقل، وعدم الخروج على دولة الخلافة." (انظر: شاكير أحمد السحمودي: مناهج الفكر العربي المعاصر في دراسة قضايا العقيدة والتراث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، ص ٤٣)

([٢]) محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م، ص ٥٩

طويلة، وخاصة إذا كان هذا التراث كالتراث الإسلامي الذى يصدر عن عقيدة ربانية ومنهج أصيل"[1]

(1)أنور الجندي: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٥٤

خاتمة البحث وأهم النتائج:

وبعد،، فقد كان هذا عرضا موجزا لبعض وأهم اتجاهات قراءة التراث الإسلامي في الفكر العربي الحديث، عرّج عليها الباحث سريعا، وقد خلص من خلالها إلى نتائج عديدة، والتي من أهمها:

١ – لفظة "التراث" في الاصطلاح تُطلق على كل ما هو معنوي مما تركه السلف للخلف من علوم وثقافات وفنون وطقوس وتقاليد وعادات كالتراث الشعبي مثلا

٢ – التراث الإسلامي هو ذلك المتمثل فيما تراكم منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من علوم وفنون وعمران ومنهج في الحياة العملية تناقلته الأجيال مكتوبا ومحفوظا ومرسوما ومارسا في واقع السلوك، ممثلا للكسب الحضاري العام الذي كسبته خلال تاريخها منذ نشأت إلى هذا العهد

٣ –تتبلور قضية الموقف من التراث (قبولا ورفضا) في موقفين رئيسين: موقف التيار الإسلامي، الذي يرمي إلى التمسك بالتراث والأصالة الحضارية، وموقف التيار التغريبي والذي يرمي إلى الذوبان في الآخر والقطيعة الكاملة مع التراث الإسلامي.

٤ – تعددت مناهج بحث التراث وأطر دراسته واتجاهات قراءته لدى المفكرين والفلاسفة ومنشدي سبل النهضة في الوطن العربي، كلٌّ حسْب موقفه من التراث وحسْب توجهه ومذهبه وقناعاته الفكرية، حيث تنوعت هذه الاتجاهات لقراءة التراث في الفكر العربي الحديث ما بين اتجاه سلفي أصولي، واتجاه تغريبي، وثالث توافقي أو تلفيقي، ورابع ليبرالي، وخامس مادي تاريخي...

٥ – اتجاه القراءة العلمانية للتراث يسعى لتجريد الإسلام من محتواه ومن الروح الإسلامية التي فيه، واعتباره تراثا إنسانيا بحتا لا علاقة له بالدين الإسلامي، وهذه القراءة قد وجدت عند التيار التغريبي إبَّان الحقبة الاستعمارية حتى منتصف القرن العشرين، وهي قراءة مجتزأة لبعض النصوص التراثية.

٦ – إن القول بتاريخية النص الديني مظهر من مظاهر التحديات التي يجابهها العقل المسلم، وذلك من خلال محاولة الخطاب الحداثي[١] بيان أن النص الديني لا يعدو أن يكون وضعا بشريا يناسب مرحلة الطفولة العقلية للإنسان، أو أنه نتاج ثقافي أفرزته أوضاع اجتماعية وثقافية معينة غير الأوضاع الراهنة، مبررين ذلك بأن العقل البشري

---

(١) الحداثة، كما جاء في معجم لاروس الفرنسي: حداثة (modernism) "تعني البحث عما هو حديث"، وهي"مذهب يدعو إلى التجديد الاجتماعي والثورة على الكنيسة، من خلال النقد التاريخي للمعاصر" (انظر: Larousse,Laipraire(Lepetit Larousse),p٦٣٢,١٩٩٠

وصل إلى مستوى جد متقدم من الوضعية التي تجاوز بها هذا العقل الصبغة اللاهوتية التي هي صبغة العقل الديني الذي مرجعيته النص.وهذه رؤية مادية بعيدة عن روح الإسلام والخطاب الإسلامي، كما أنها بينة الخطورة لما فيها من دعوة إلى الانفصال عن النص وتصادم مع الدين.

٧ – الاتجاه العقلاني النقدي لقراءة التراث ليس مرفوضا على إطلاقه، بل هو مطلوب أحيانا لتمييز الحق من الصواب والصالح من الفاسد، وهذا ما ينبغي أن يكون في حق التراث كنتاج بشري، أما بالنسبة للوحي فلا سبيل إلى ذلك، حيث أنهما وحي منزل من الله تعالى وقد أجمعت الأمة على قداستهما وعدم قبولهما لمبدأ الخطأ والصواب، فكما يؤثر عن الإمام مالك أنه قال وهو في الروضة الشريفة: "كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر" وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

٨– اتجاه القراءة المادية للتراث هو اتجاه إلحادي مبني على الكفر بالله جل وعلا وكتبه ورسله حيث شعاره كما ذكر ماركس (لا إله والحياة مادة)، اتجاه قائم على أساس أن الظواهر الدينية مصدرها الأرض وليس السماء، والإنسان لا الإله.

٩ – القراءات والدراسات المنحرفة للتراث "تُعد انعكاسا لظهور موجة من الدراسات الفكرية والتاريخية في التراث الإسلامى ، تحمل شعارات براقة مثل «التجديد » ، « والاستنارة »،" وينتمي رموزها وأصحابها إلى عدة توجّهات أيديولوجية ، غريبة عن الإسلام عقيدة وحضارة، و ناشزة عن تراث الأمة.

ثبت بأهم المصادر والمراجع:

١- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري،الرياض، دارالسلام، ط٢، ١٩٩١م.

- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ

٢- أحمد عباس صالح: الصراع بين اليمين واليسار في الإسلام، القاهرة، (د.ن)، ١٩٦٦م

٣- أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، سلسلة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان، ١٤٠٥ه، الطبعة الأولى

٤- إبراهيم عمر السكران: التأويل الحداثي للتراث..التقنياتوالاستمدادات، دار الحضارة، الرياض، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م، الطبعة الأولى

٥- أنور الجندي: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)

٦- أنور الجندي: قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ه، ١٩٨١م

٧- أنور الجندي: الإسلام والعالم المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م

٨- جاسم سلطان: التراث وإشكالياته الكبرى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م

٩- جمال سلطان: الغارة على التراث الإسلامي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه، ١٩٩٠م

١٠-حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م

١١-زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣م

١٢-زكي الميلاد: الفكر الإسلامي – قراءات ومراجعات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م

١٣-زكي الميلاد: الإسلام والعقلانية، ضد الجمود وضد الاستلاب، أطياف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م

١٤-سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م

١٥-سليمان الخطيب: فلسفة الدين في الفكر الإسلامي الحديث، دار الطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣

١٦-علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام)، دار الكتاب المصري، القاهرة، تقديم: عمار علي حسن، طبعة: ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١١م

١٧-فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م

١٨-محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م

١٩-محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م

٢٠-مناع القطان: موقف الإسلام من الاشتراكية (أو نظرية التملك في الإسلام)، دار الثقافة الإسلامية بالرياض، (د.ت)

٢١-مرزوق العمري: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م